المسكرات ومضارها

« النفسية والاجتماعية[1] »

— ٢ —

عرف الانسان الخمرة بسائق المصادفة وعشقها منذ العصور الاولى وذلك لانه كان يأكل الثمار السكرية الطعم ومنها العنب و يتلذذ بحلاوتها . وبما أن هذه الثمار موقوتة لا تدوم ادخرها الانسان مدفوعاً بعامل اللذة . فكانت تتخمر فيأكلها متخمرة فيشعر بتأثيرها فيطرب وتستهويه سورتها فيكثر من الاكل منها الى ان يسكر . وكان كلما نال منها وطراً يجدّ في وصلها طلباً . وكلما رشف منها وشلاً تلظى لكاسها ظمأ . وكلما ارتقى في الحضارة باعاً زاد في صناعتها ابداعاً صنوفاً وانواعاً . الى ان اهتدى منها بواسطة الجسم الى الروح اي من الخمر الى الغول فأسلم له روحه وجسده وماله وولده .

هكذا انتقل الانسان من السكّر الى السكر ، ومن الحقيقة الى الخيال ، ومن اللذة الحسية ، الى النشوة النفسية ، ومن حرية الارادة ، الى إسار العادة ، ومن ماء الحياة الى داء الغول . وهكذا عرف الخمرة وعشقها ، وهام بها وعبدها ، فهي الصحة وهي المرض ، وهي المسرة وهي الألم ، وهي السعادة وهي الشقاء ، وهي الحياة وهي الممات . فأعجب بها من معشوقة ممقوتة ، وممدوحة مذمومة ، وأسيرة مليكة ، وطريدة منشودة ، ومباحة محرمة ، وعاهرة مشرّفة ، لايضنيها الوصل ، ولا يفسد من ملاحها الدهر . يأتيها المرء لاول مرة مجاملة او تشبهاً ، ثم طوعاً وتشوقاً ، ثم كرهاً مغلوباً على امره . فليت شعري ما علة هذا الولوع بذلك الممنوع . وما السر في هوى بنت الغواية والهوى ؟

الاسباب : منها ماهو حيوي ، ومنها ما هو اجتماعي ، ومنها ماهو نفساني . فمن الاسباب الحيوية الوراثة ، فقد أثبتت المشاهدات العلمية ان لنسل الغولبين استعداداً خاصاً لتعاطي المسكرات . ولهذا كان احتياج الغربيين أشدّ الى شرب الخمور من احتياج

(١) محاضرة الاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القاها في المجمع العلمي في ٤ نيسان سنة ١٩٣٠ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشرقيين بدافع العامل الوراثي . ومن الاسباب الاجتماعية البيئة ، فان الوسط الاجتماعي المؤتلف شرب الخمور ادعى الى انتشار معاقرتها من الوسط الذي يحرمها قانوناً او شريعةً او عادة ، ومنها المعتقدات والعدوى الأخلاقية وحب التقليد والمجاملات في الاجتماعات الخاصة والعامة .

ومن الاسباب النفسانية ، وهي لعمري العامل الأقوى في انتشار المسكرات مابين جميع العناصر البشرية على اختلاف الأجيال . طلب السعادة ، واي سعادة ، السعادة الخيالية ، ولا غرو فهل السعادة الا الارتياح النفسي الذي يحدث عندما تتحقق اهواء الانسان الكامنة في النفس ، وبعبارة أفصح هل هي سوى ارضاء الرغبات النفسية ، وما أدراك ما الرغبات النفسية : هي الميل الغريزي والشهوات الحيوانية والاهواء المادية والمعنوية الشريفة والدنية ، ولما كان تحقيق هذا الميل متعذراً لان التقاليد والعادات والظواهر الاجتماعية والشرائع الدينية ، والانظمة والقوانين الادارية ، تحظر على المرء إتيان ما يخالفها مما تشتهيه نفسه و يصبو له قلبه ، وتضطره الى كتمان ميله وشهوته وقهر مطامعه ومطامحه ، لان من الاولى مايستوجب الخزي والعار ، ومن الاخرى مايستدعي القصاص والدمار ، فلا تبيح للوضيع الطموح ان يكون ملكاً تعنو له الرقاب ولا للفقير ان يكون غنياً يتنعم برغد العيش وأبهة الحياة ، ولا للغني ان يدفع بماله مرضاً عضالاً او يستهوي به قلب غادة فتانة ، أسرته لحاظها ، وأقصاه عنها عفافها ، ولا للعاشق ان يغازل عشيقته على مرأى من الناس او مسمع منهم ، ولا للقوي ان يبطش بالضعيف بيده ليشفي ببطشه غلة ، ولا للجائع ان يمد يده لرغيف على قارعة الطريق فيسد به رمقه ، ولا للصديق ان يمس حرم صديقه بسوء وفي قلبه نار تتأجج من الحب والهوى . الى غير ذلك من الامثلة التي لا يقع عليها حصر . لما كان تحقيق كل هذه الأهواء متعذراً أصبحت السعادة البشرية محدودة جداً على وجه هذه البسيطة . وهي نسبية شخصية و بات الشقاء البشري عاماً لا يخفف وطأته الا الايمان بالسعادة الاخروية وفسحة الامل .

واذا استقرأنا العامل الاساسي الذي يقف في وجه هذه الاهواء ويمنعها من الظهور والتحقق فيسبب بهذا المنع تململ النفس وكآبتها ، نجد انه هو العقل . فالعقل هو القوة الوحيدة التي تردع الانسان عن خرق القوانين و لأحكام ، ومخالفة التقاليد والعادات ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهتك الشرائع والاديان ، وتحمله على حرمتها ورعايتهـا هو الحاجز المانع الذي يقف في وجه الاهواء المخالفة للآداب والتاريخ والشرائع . فيمنعها من الظهور في حيز الشعور ، ويحصرها في سويداء النفس في عالم اللاشعور ، حيث لا تفنى بل تستحيل الى قوى كامنة مبهمة لاشعورية ، تتكيف بحسبها طبيعة الانسان ، وتظل في جدال عنيف دائم مع العقل بغية الظهور والتحقق ، فينشأ عن هذا الجدال اللاشعوري عدم الاطمئنان النفسي وذلك الفراغ الباطني المبهم الذي قلما يهتدي المرء الى تعليله وايضاحه . فالعقل هو والحالة هذه علة شقاء الانسان ، وبعبارة اخرى اخذ الانسان يشعر بالشقاء منذ بدأ بالانسانية ، اي منذ خرج من الحيوانية ، وبدأ بعقل . ولا مشاحة فهل الانظمة والقوانين والتكاليف الحيوية الشديدة التي يتململ منها اليوم كل انسان الا وليدة العقل وهل سوى القوة العاقلة ، يحمل الانسان على حرمتها ورعايتها . وقد ادرك السلف منذ العصور القديمة كنه هذه الحقيقة ، فجعلوا السعادة المطلقة في بعض انواع الجنون ، من ذلك قول الشاعر : ما لذة العيش الا للمجانين .

وقول المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وقوله : تصفو الحياة لجاهل او غافل ... عمـا مضى منهـا وما يتوقع

وقوله . وبعض العقل عقال :

وقول ابي جعفر القمي :

تحامق تطب عيشاً ولا تك عاقلاً ... فعقل الفتى في ذا الزمان عدوه

ولابي الربيع محمد بن علي الصفار البلخي :

طاب عيش الرقيع في ذا الزمان ... والجهول الغفول والصفعان

وانشد ابو منصور مهلهل بن علي الغنوي :

الروح والراحة في الحمق ... وفي زوال العقل والخرق

فمن اراد العيش في راحة ... فليلزم الجهل مع الحمق

وجاء في النظرات للمنفلوطي في وصفه الحياة الشعرية « يقولون اشقى الناس في هذه الحياة العقلاء ، ويقولون ما لذة العيش الا للمجانين ، اتدري لماذا ؟ لان نصيب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاولين من الحياة الشعرية اضعف من نصيب الآخرين . وذلك ان عقل العاقل يحول بينه وبين استمرار الطيران في فضاء الخيالات الذهنية ، والمغالطات الشعرية ، فلا يرى سوى مابين يديه من الحقائق الملموسة . ولا يسمح له علمه باحوال الدنيا وشؤونها ، ومعرفته ان المصائب والآلام ، لازم من لوازمها التي لا تفارقها ، ان يؤمل منها ما ليس في طبيعتها من دوام السرور واستمرار الهناء ، فلا يطلب سعة العيش من وراء الأمل كبقية المؤملين ، ولا يتلذذ بتصديق مالا يكون تلذذ المجانين » .

ولما كانت الغرائز الحيوانية تأبى ان تضمحل وتفنى بتأثير العقل . توخى الانسان منذ العصور الاولى ان يتملص من قيود عقله ، ليتجرد عن آلامه ومتاعبه الجسمية والروحية فاهتدى الى عدة مواد ذات تأثير خاص في مراكز جهازه العصبي الدنيا والعليا فتخدرها وتضعفها ، اهمها الأفيون والحشيش والكوكائين والغول الذي نحن في صدده . وقد تفرد الانسان دون سائر الحيوانات بسمّ دماغه بارادته قصد تخديره لتفكيك قيوده العقلية . والحصول على النشوة التي ليست في الحقيقة الا سعادة خيالية مرضية وبعبارة أصح جنوناً اختيارياً موقوتاً .

قال المنفلوطي في كلمته الحياة الشعرية : لولا حب الحياة الشعرية ما وجد في الناس كثير من المولعين بتخدير أعصابهم . كشارب الخمر ، ومدخني الحشيشة ، وآكلي الافيون وهي وان كانت في نظرهم حياة سعادة يتخللها شقاء . الا انها خير عندهم من حياة شقاء لا يتخللها سعادة . ولولا حب الحياة الشعرية ماوُجد في الناس هذا الجم الغفير من الشعراء المتخيلين والعابدين المتبتلين .

لا يجد السكير لذة العيش وهنأته الا اذا أسلم نفسه الى كأس الشراب فنقلته من هذا العالم البسيط المحدود ، الى عالم واسع النطاق ، شاسع الاطراف ، يرى فيه كل ماتشتهي نفسه ان تراه . فان كان قبيح الوجه مشوه الخلقة ، تخيل انه شرك الابصار وفتنة النظار ، وان القلوب محلقة على جماله ، تحليق الأطيار على الأشجار ، وان كان فقيراً معدماً لايملك فلساً واحداً توهم انه جالس على عرش الملك ، والصولجان في يمينه ، والتاج فوق رأسه . واعتقد ان عبيد الله تعالى جميعهم عبيده ، وجنود المملكة باسرهم جنوده حتى ذلك الجندي الذي يسحبه على وجهه الى غرفة السجن ليقضي فيها ليلته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجملة القول ، ان عينه لاتقع على مايحزنه من المنظورات ، وان أذنه لاتسمع ما ينفره من المسموعات حتى ليرى الجمال الباهر في وجه العجوز الشمطاء . ويسمع في صوت الرعد القاصف ألحان الغناء .

فالسكر هو والحالة هذه جنون عارض يتصف بتغير الأفعال النفسية من درجة النشاط الى التشوش والاختلاط ، الى الفساد والهذيان ، الى الخدر والخبل ، حسب كمية المادة المسكرة وكيفيتها وحالة الشارب ومزاجه . واليكم صورة مصغرة للانسان الذي يتعاطى شرب الغول حسب الادوار الحادة التي يجتازها . وهي تقسم الى خمسة أدوار دور النشوة ودور الثمل ودور السكر ودور السبات ودور الفالج .

فالنشوة ايها السادة هي الحالة النفسية التي يشعر بها الانسان عندما يتجرع القليل من الغول . او هي الدرجة الاولى من السكر . وهي تشبه باعراضها النوع الجنوني المعروف بالمانيا او الجنون السبعي . وتتصف بنشاط الجسم وانطلاق الافكار . فيتورد الوجه وتضيء العينان . ويزداد عدد الضربات القلبية ، والمبادلات التنفسية ، وتخدر الأعصاب ، وتسكن الآلام . ويشعر المرء بحرارة لطيفة في جميع أعضائه ، وخفة في جسمه ، ويخيّل اليه ان قواه قد زادت ، وانه أقدر على العمل من ذي قبل ، وينطلق لسانه ويكثر كلامه ، وتتوارد خواطره وأفكاره ، مع ضعف في روابطها ، وعدم تناسق في تداعيها . وتتوقد الذاكرة وتسرح المخيلة . فيذكر ما كان ناسيًا ويبتدع من الصور الخيالية مالا يقوى على مثله في حال صحوه . فتراه يكثر من الكلام المنمق ، والمجاز والامثال والكنايات والنقد . اما محاكمته ومميزته فيستولي عليهما الضعف والخفة . فتأتي قياساته واهية لسرعة الحكم ، وتحول البساهة والعجز عن اعمال الذهن والتأمل . وبالنظر لخدر الناقدة والمراقبة تنطلق اهواؤه المحصورة من قيودها . فتتجلى ثمة حقيقته الجبلية . فيبوح بكثير من أسراره التي طالما حرص على كتمانها . ولهذا قيل الغول ، معيار الاشخاص ، ومحك الطبائع . ويعتري السكير في هذا الدور الغرور والأنانية ، والغطرسة ، فيمسي سريع الانفعال ميالاً للبطش والمشاجرة . محبًا للمدح والثناء اللذين يدفعانه الى الكرم والاسراف . والغول يخل التوازن القائم ما بين ظاهر المرء الصنعي وباطنه المكتوم . ومن الخطإ الفادح ان يظن الناس انه يكسب المرء فضائل ليست فيه موجودة لان الاناء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا ينضح الا بما فيه . ولما كانت طبائع الناس وأخلاقهم ونزعاتهم الجبليـة والكسبية ، مختلفة لا يقع عليها الحصر أصبح من المتعذر وضع صورة عامة تنطبق على كل امرئ في حال النشوة الغولية . ولهذا يمكننا القول بان لكل انسان صورة خاصة يتمثل بهـا اثناء السكر ، وان الغول خير كشاف لاسرار البشر وحقيقتهم ، وهو عدو الكتمان . وكثيراً مايتوصل به الدهاة الى اكتشاف الاسرار الدفينة سياسية وغرامية وجنائية .

تلك النشوة الغولية ايها السادة وهي كما اوضحناه حالة نفسية متصفة بانحلال قوة العقل والمراقبة ، وانطلاق الملكات النفسية الفكرية الشاعرة ، والبهيمية على اهوائها ، وهي الدور الاول من السكر ، دور اللذة والنشاط ، والحرية النفسية والخيـال ، دور الانطلاق والانشراح ، المتعارف في الاندية والمجتمعات العامة والحفلات الرسمية والخاصة ، ويسمونه العادة المعتدلة والسكر الادبي والكأس المشهية . اما في لغة العلم فهو جملة اعراض سم الدماغ الغولي الاولى ، اوالجُنة السبعية الغولية الخفيفة .

واذا كان القسم المحتشم ذو الثقافة الاجتماعية من الناس ، يقف عند هذا الحد من النشوة ، فان القسم الآخر منهم يتعداه الى الدور الثاني ، دور الثمل ، دور سم الحواس والمشاعر ، ويتصف هـذا الدور بخمود النشاط الفكري السابق وانطلاق الانفعالية والحواس والمشاعر ، وخدر الحس والشعور الاخلاقي . فالنشوان شارد الفكر والعواطف اما الثمل فهو طائش الشهوات والغرائز ، لا سيما الحس التناسلي ، فان هذه الشهوات تستولي على انانيته وتدفعه الى اظهارها ، هازئة بالتقـاليد والآداب العامة ، فيهبط من المعنويات الى الحسيات ، و يتعرض لما فيـه مساس بالشرف والعفاف . وما حوادث السب والشتم والضرب والقتل ، في سبيل المرأة في المراقص وعلى موائد السكر عنا بغريبة ، واذا اضفنا الى هذه الاعراض نشاط الشعور الغامض وهو القسوة والخيلاء وسرعة التهيج وعدم الشعور بالواجب تتجلى لنـا صورة الثمل باجلى مظاهرها . اما المدارك العقلية فانها تخمد ما عدى المخيلة فانها تنطلق بصورة خاصة ، فيأخذ الثمل بالثرثرة وخلق الاساطير ، وادعاء ما ليس فيه مما لا يختلف عما يشـاهد في الهذيانات الحادة على اختلاف صورها وموضوعاتها .

وتزداد هذه الاعراض بازدياد تجرع الغول فتظهر في نهاية هذا الدور اعراض تأثير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السم في اعصاب الحركة . فيختل نظام الحركات العضلية وتفقد دقتها ، وتعتري السكير الرعشة والاضطراب فلا يتماسك في المشي ، وتختل موازنته ، ويسترخي كلامه ، ويتداعى الى الجمود والخمود الفكري والحسي الى ان يدخل الدور الرابع دور السبات ، دور النوم والخدر الدال دلالة واضحة على ان المسكرات الغولية مخدرة وليست منبهة كما كان يظن ، وانها من فصيلة الافيون والحشيش ، فيفقد السكير ثمة قواه المحركة ويصبح عاجزاً عن المشي فيقع حيثما يهوي به السكر ، خائر القوى محني الرأس والظهر ، ساقط الاجفان غامض الحس والشعور والادراك ، غارقاً في بحران مظلم من الحياة الذاتية المبهمة ، يقبض بيديه على ما حوله من اشياء وهمية او حقيقية ، كأنه يحاول التملص من هذا الكابوس النومي القاهر ولكن هيهات هيهات فاهي الا هنيهات من الزمن ، حتى يستولي السم على جميع اعصاب الحس والحركة فيفقدها حياتها العملية . وينزل بالسكير من درجة الحيوان الى مصاف النبات .

وهنا يتمثل لنا الدور الاخير من هذه المأساة المفجعة ، دور الفالج ، فيتراءى لنا ذلك البشر السوي الذي كان بهجة النظر قبيل ساعات قليلة جثة هامدة بلا حراك ، ليس فيها ما ينم عن الحياة سوى انفاس خشنة تتصعد ، ونبضات قلب خائر تتابع ، تنتشر منها روائح كريهة لفلج مصرتي البول والغائط مما تقذى لمنظره الاعين ، وتمج وصفه الآذان .

هذا هو السكر الحاد ايها السادة وتلك هي الحالات النفسية التي يتجلى بها السكير منذ اول قطرة يتجرعها حتى الكأس الاخيرة ، وهي تشبه من حيث مجموعها ونتائجها احوال سفينة في عرض البحر اصابها اعصار شديد افقدها توازنها فظلت في صعود وهبوط ، واقدام واحجام وتمايل واضطراب وظلام اذا اخرج المرء يده لم يكد يراها ، الى ان سكنت العاصفة فعاد اليها سكونها واصبحت كأنه لم يطرأ عليها حادث بالامس ، اللهم عدا ما يعتري روابطها من خلل ضئيل ، قد لا يضر بسيرها فيما اذا لم تتوال عليها الزوابع ، وفيما اذا كانت اوائلها محكمة الروابط ، سالمة متينة . اما اذا راجعها الاعصار من حين الى آخر وكانت اجهزتها سقيمة ، وغير محكمة الرباط فانها لا تلبث ان تخرب وتصير الى الغرق .

وهكذا غد السكير ايها السادة فان الاعراض التي اتيت على ذكرها ، تتلاشى رويداً رويداً باحتراق الغول في الجسم وطرده منه بالافراز والمبادلات مع اختلاف اعضائها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيعود للمرء صحوه ونشاطه السابق ، غير ان ذلك الاحتراق والافراز وتلك المبادلات والاضطرابات لا بد لها من أن تترك اثر تخريب ضئيل في تلك الاعضاء ، قد لا يشعر به المرء بادئ بدء لدقته ولكنه يتفاقم و يظهر كلما تكرر حادث النشوة والسكر ، وبنسبة كمية الغول وكيفيته ، والزمن والبنية ومقاومة الجسم . فتبدأ ثمة اعراض داء السكر المزمن او الغولية وهي داء عضال ينذر بتغلب الغول على قوى الجسم وعجز هذه القوى عن طرد هذا السم النافع . و يدل دلالة واضحة على ان تلك المسرة الاولى او الرشفة المشهية الصحية المباحة لا بد لها من ان تترك اثراً في الجسم يتفاقم بحسب تكررها فتنشأ عنه حسرات وآلام تنسي صاحبها تلك الاحلام فيندم ولات ساعة مندم . وقد اثبت الدكتور ميلانبي (Mellanby) تراكم فعل المقادير القليلة من الغول في الجسم واضرارها ، في بيان اعمال وزارة مراقبة الغول في انكلترا المنشور عام ١٩١٨ كما اثبتت احصاآت شركات ضمان الحياة الانكليزية والاميركية والسويسرية والالمانية ، ان الذين يشربون الماء الصرف الخالص اطول اعماراً من الذين يتناولون المشروبات الغولية بالصورة المعتدلة ، اقول بالصورة المعتدلة لان هذه الشركات ترفض ضمان حياة السكيرين المدمنين ، وتعد هذه الاحصاآت اليوم حقائق علمية راهنة لانها قائمة على اسس من المشاهدات مكينة وعلى نطاق واسع عظيم من الناس ، ولان نتائجها كانت ثابتة ومتقاربة على اختلاف الازمنة والاماكن .

الغولية — . ويبدأ داء السكر المزمن او الغولية عندما يصبح الدماغ عاجزاً عن تحمل فعل الغول . ويتجلى بتغير في طباع المرء واخلاقه ، فترى ذلك الشاب المهذب الذي كان طوال حياته حتى اليوم مثالاً للنشاط والجد وحسن السلوك والمعاشرة ، والحرص على القيام بالواجب يحاول الشرود والتملص من طباعه وعاداته متجهاً نحو حياة ذاتية وانانية بحتة ، فيعاشر من لم يكن يألف معهم من الناس ، و ينقطع عن ارتياد داره في الاوقات المعتادة ، وتخشن معاملته ذو يه ، ويهمل واجبه نحو اسرته ، و يكثر تردده على المقاهي والحانات ، حيث يلذله شرب المسكر ، ولعب الميسر . وقد جعل فريق من الحكماء هذا العته الاخلاقي العرض الاساسي للغولية المزمنة . وقد دعوها الجنون الاخلاقي المكتسب . وذلك لان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاختلال يعم فيها جميع اقسام الفعالية الاخلاقية ، وهي علاقات المرء مع نفسه ومع اسرته ومع غيره وعلاقاته الاجتماعية والصناعية .

اما علائم فساد العلاقات الذاتية فاهمها : عدم احترام الذات وعدم الاكتراث بها وفقد الاباء ، والشرف والمروءة والنخوة والوجدان والنزاهة والعفة ، والنظافة والحشمة وحس الجمال ، وحرمة المبادئ العامة الدينية والاجتماعية . ومن علائم فساد علاقاته بأسرته : فقد الحب والامانة الزوجية ، والشعور بالواجب العيالي ، ، وغريزة التناسل والاهتمام بتهذيب الاولاد والحنو الغريزي الابوي ، والتوقي والحذر والتبصر والتوفير والاقتصاد .

واما فساد علاقاته مع غيره: فيتجلى بضعف الصداقة ، وفقد المودة والمفاداة والرأفة وحب الاحسان . واما فساد العلاقات الاجتماعية ، فتظهر بالتداعي للكسل ، وفقد النشاط للعمل ، والقدرة على الانتاج وحب الوطن ، وحرمة المبادئ العامة .

اضف الى ذلك شراسة الخلق ، والتهور وسرعة التأثر ، وسوء الظن وانقباض النفس ، وحمل الامور على غير محملها ، والاستئثار بالرأي ، والفكر الثابت والفعالية العقيمة ، الى غير ذلك من المساوئ الخلقية التي نشاهدها كل يوم في من نعهد فيهم السكر المزمن .

ويترافق ضعف الحس الاخلاقي هذا مع ضعف الملكات العقلية ولاسيما النباهة والمحاكمة وقابلية الائتلاف ، والذاكرة والقياس وذوق الجمال والاستقراء الادبي والفني و يتجلى هذا الضعف باجلى مظاهره عندما نقاس اعمال الغولي السابقة باللاحقة ، فترى ذلك العامل اليقظ النشط ، يرتكب انواع الخطأ في عمله و يتداعى للاهمال والكسل لضعف ذاكرته وعدم قدرته على متابعة الاعمال الذهنية . وترى ذلك الرسام الذي كان يبتدع من المناظر مايفتن النظر و يخجل الطبيعة ، وذلك الشاعر الذي كان يسحر الالباب ببيانه ومبتكرات افكاره ، وذلك الموسيقي الذي كان يطرب النفوس و يتلاعب بالقلوب يتدهورون رويداً رويداً بتأثير السم في رؤوسهم الى ما دون الحد الوسطي من الناس ، وليت هذا السم يقف تأثيره عند تخريب الدعائم الدماغية العليا فقط ، بل يتعداها الى مراكز الحواس فيسمها فيمسي الغولي مسيراً بحواس مريضة ينشأ عنها خطأ الحس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والاوهام السمعية والبصرية والذوقية واللمسية ، والتخيلات والاحلام المزعجة ، والكابوس والارق المتواصل . وفي ذلك منتهى الشقاء البشري وارذل الحياة الانسانية ،

تلك هي المراحل التي يجتازها الغولي منذ الكأس الاولى حتى الثمالة ، وقد يهون الخطب فيما لو كان هـذا الداء فردياً يعيش مع صاحبه و يزول بزواله كجل الامراض التي لا تتعدى الفرد الى سواه . ولكن الامر مع الغولية ليس كذلك ، فهي مرض اجتماعي ينتقل من الوالد الى الولد و يهدد الأسرة والهيأة الاجتماعية بفساد اعضائها وانهيار كيانها . ولقائل يقول ان من الامم من تتعاطى المسكرات من آلاف السنين وهي لم تزل حية تتمتع بقوتها وفرط عظمتها .

فأجيب على ذلك بان الغولية لم تصبح مرضاً اجتماعياً يهدد كيان الأمم وحياة العنصر الا منذ نصف قرن فقط . وذلك لان الغول كان مجهولاً قبل القرن الحادي عشر . وقد انحصر استعماله في الصيدلة حتى القرن السادس عشر . ولم يبع ببعه خارج الصيدليات الا في عهد لويس الثاني عشر ، ففي عام ١٦٧٨ عرض الغول للبيع لاول مرة على قارعة الطرق . ولكن داءه لم ينفش في اوربة الا في القرنين الاخيرين . عندما اهتدت الصناعة الى استحصاله بتقطير الحبوب والشمندر . ولان الحياة باتت فيهما ثقيلة العبء كثيرة المشاق والتكاليف تضطر العامل لمغالبتها الى الالتجاء الى منبه صنعي وجده في الغول .

ولكنه لم يلبث حتى وجد نفسه وماله وولده عرضةً لاغتياله . اما مضار الغول الاجتماعية – فانها لم تظهر الا في منتصف القرن التاسع عشر . واول من لفت نظر العالم اليها هو الطبيب الاسوجي مانيوس هوس (Magnus Huss) عام ١٨٤٧ حيث قام بصف مضار الغول في الجسم البشري و ينذر بوخيم عاقبته وفداحة مضاره .

اما الأقدمون فلم يكونوا ليشربوا سوى الخمر الصرف الخلو من الغش وقد سبق لنا القول في المحاضرة الاولى بانه لايحوي سوى ثمانية أجزاء في المئة من الغول وهي كمية زهيدة لا ينشأ عنها السكر ، اللهم الا اذا شرب المرء كميات عظيمة من الخمر مما لا يعانيه كل انسان ولا يتعدى حد الافراد ولهذا لم تعرف الغولية بشكلها الاجتماعي في العصور القديمة . فهي مرض اجتماعي كالسل والافرنجي حديث العهد أفرزته مشاهدات العلوم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاجتماعية والاقتصادية والطبية ، ولكن الغولية ادهى وانكى لانها تنال الامة في جميع مقوماتها التناسلية والاقتصادية والاخلاقية و...

وقد أثبت فوريل (Forel) عام ١٩١١ نظريته القائلة باستحالة البذور التناسلية بالغول في المؤتمر الدولي الثالث عشر المنعقد في لاهي ضد الغولية . ويتلخص قوله بانه ما من انسان يرتاب اليوم بان الغول يحدث استحالة في كل من حجيرات اعضاء السكير التناسلية . وقد أيدت المشاهدات والتجارب العلمية السابقة واللاحقة هذا القول . فقد جاء في بحث كومبال (Combemale) عن نسل السكيرين المنشور عام ١٨٨٨ مانصه : « يحدث ادمان السكر ضموراً في الخصى حتى ان حجمها ينقص لدرجة حجم البندقة . و يسترخي الصفن وعضو التناسل و يندر وجود الحوينات في المني . اما عند المرأة فيحصل ضمور في المبيض و يختل نظام الطمث اي الحيض و ينقطع قبل زمانه المتعارف .

ثم قام كيرل وشوبر (Kyrle & hebopper) من جامعة فينا بتجارب عديدة على الحيوانات ، فأسكرا واحداً وثلاثين حيواناً بالغول بادخاله يومياً زرقاً في المعدة او في الوريد او تحت الجلد فشاهدا بعد مضي ثلاثة أسابيع ضموراً في جميع خصاها ، بلغ عند سبعة منها درجة شديدة أفقدت الخصى كل حجيراتها المنوية .

وذكر الاستاذان ويشلباوم و كيرل من فينا (Weichselbaum & kyrle) في بحثهما عن مضار الغول عام ١٩١٢ ان السم الغولي يحدث تخريباً في الخصى بدرجات متفاوتة تنتهي ابداً بفقد الاقنية المنوية .

وقد ذكر برتوليه (Bertholet) في بحثه عن تأثير الغولية المزمنة على أعضاء الرجل التناسلية المطبوع في لوزان عام ١٩١٣ انه شرح جثث ١٦٣ سكيراً ماتوا جميعهم بالتسمم الغولي فشاهد بعد الفحص المجهري ان معظم التخريب واقع في الخصى بالنسبة لسائر اعضاء الجسم .

ولقد لخص هذا العالم تجاربه ومشاهداته بالنتائج الآتية :

(١) يحدث الغول عند مدمني السكر استحالة مبتسرة في الخصى تنتهي بضمورها وبفقد الحوينات المنوية .

(٢) وتكون هذه الاستحالة دهنية في بادئ الامر ثم يعقبها التصلب وفقد الاقنية المنوية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٣) و يحدث هذا التخريب عينه في المبيض عند المرأة التي تدمن السكر الغولي .

وقد اقر العلم الحاضر هذه النتائج واصبحت نظرية فورل القائلة باستحالة البذور في اعضاء التناسل بتأثير الغول حقيقة راهنة لا تقبل النقد ايدها التشريح المرضي والطب السريري والتجارب الفسيولوجية وعلم حفظ الصحة .

واذ قد ثبت لنا ان النطفة التي ستكون بشراً هي مصابة بتأثير الغولية بحيث باتت معها حياتها مهددة بالفقدان فهل من ريب بان النسل الذي سينشأ منها سيكون فاسداً مؤوفاً بنسبة فسادها وآفتها ، هل من ريب بعد ان ثبت لنا ان الحبة التي تغرسها في بطن الارض عاطلة بان الثمر الذي ستثمره سوف يكون عاطلاً ايضاً ؟ ما من ذي لب يرتاب في ذلك .

وقد عرف الأقدمون بالتجارب تأثير غولية الآباء في سلامة الابناء فعملوا على منعها ومقاومتها . قال لادام (Ladame) كانت شريعة قرطجنة تحرم على العروسين شرب غير الماء في ايام الجماع محافظة على سلامة النسل . وكان رؤساء الدين في البلاد المدمنة السكر يمنعون طوائفهم من ملامسة النساء قبل مضي ثلاثة ايام على يوم العرس لا يتناولون فيها غير الماء خشية حصول نسل فاسد ، وذلك لانهم كانوا يسكرون بشدة ايام الاعراس وقال ابن عبد ربه في عقده الفريد : وربما بلغت جناية الكأس الى عقب الرجل ونجله وكان المأمون يقول : يانطف الخمار .

وذكر الاستاذ لومب (Lombe) من لوزان في بحثه في عاهات الاولاد العصبية المطبوع في ليبسيك عام ١٩٠٣ : ان رجلاً ولد له ولد ابله فكتب اليه انه لم يسكر في حياته الا يوم بضع هذا الولد . مما يؤيد ايضاً ان السكر العرضي ذو دخل ايضاً في استحالة النسل .

وذكر سباتية (Sabatier) في بحثه في تأثير الغول في النسل عام ١٨٧٥ المشاهدة الآتية : رجل عفيف ذكي قوي البنية لم يشرب المسكر في حياته الا في الاسابيع الثلاثة التي تزوج فيها ، ولدت له بنت غب تسعة اشهر ونصف من زواجه مصابة بالبلاهة وعدم توازن النفس .

وقد ايدت مشاهدات بزولا (Bezzola) في سويسرة هذه المشاهدات السريرية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

القديمة فانه درس ترجمة حياة سبعين فدماً اي ابلة فوجد ان النصف منهم بضعوا في حالة سكر الابوين يوم عيد المرفع والباقين اثناء سكرهم خلال السنة ، ثم درس ترجمة حياة ١٨١٩٦ رجلاً مصاباً بضعف العقل من بين ٩٣٤١٦٩ ولادة في سويسرة ما بين عام ١٨٨٠ و ١٨٩٠ فشاهد ان خمسين في المائة من البله بضعوا في ايام الاعياد المشهورة بتعاطي السكر .

ودرس موللير (Mullier) من جامعة زوريخ سنة ١٩١٣ (٨٤٧) حادثة صرع فوجد ان الخمسين في المائة منهم بضعوا في الايام المعروفة بشرب المسكرات .

وذكر سيبيش (Sippich) سنة ١٩١٧ انه جمع ٩٧ مشاهدة لاولاد بضعوا اثناء السكر فلم يجد سالماً منهم سوى ١٤ ولداً فقط ، والباقون مصابون بآفات عقلية وعصبية مختلفة .

ومن التجارب العلمية المؤيدة لهذه المشاهدات تجارب ستوكار (Stockard) على الحيوانات فقد جمع ستوكار فريقاً من الحيوانات واسكرها برائحة الغول بعد تصعيده فشاهد ان صحتها لم تختل كثيراً خلافاً لاعضائها التناسلية فقد حدث فيها استحالة ادت الى فقد نسلها خواصه الاصلية فجاء مخالفاً لهيئة والديه مما يسمونه عجيبة .

ويطول بنا البحث اذا اردنا ان نأتي على ذكر ما كتبه وشاهده اساتذة العلم عند الامم المتمدنة العظمى في هذا الموضوع وكله يثبت استحالة البذور المنوية عند الرجل بتأثير الغول ويدعو الى عدم ملامسة النساء اثناء السكر الشديد منعاً لفساد النسل وحفظاً لسلامته ، ولهذا أنتقل من هذا البحث الى مضار سكر المرأة بالنسل فأقول :

الغولية الولادية — . اذا كان سكر الرجل يؤثر في بذوره المنوية فيفسدها فأن سكر الام اثناء الحمل يفعل في النطفة الصحيحة وهي داخل الرحم فيعرضها للاسقاط والاستحالة ، وذلك لان قسماً من الغول يطرد من الجسم كما سبق لنا بيانه في المحاضرة السابقة بواسطة المشيمة ، فينتقل من دم الام الى دم الجنين داخل الرحم فيسمه ويعرضه للغولية الولادية .

وقد اثبت كومبال (Combemale) مضار سكر الام الحامل على النسل بتجارب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

علمية مشهورة ، منها انه اسكر كلبة في الاسابيع الثلاثة الاخيرة من الحمل فانتجت ستة جراء ثلاثة منها ميتة والرابع بخصية واحدة والاثنان الآخران مؤوفا الدماغ . ومن التجارب العلمية المؤيدة هذا المطلب تجارب اوسكار ربدل وغاردينر بوسيت (Oscar Riddle & Gardiner Bossett) على بيض الحمام ، فقد اسكر هذان العالمان عدداً من الحمامات بالغول بواسطة الشم فوجدا في النتيجة نقصاً واضحاً في صفاره ، ومن الوقائع المدهشة الدالة دلالة واضحة على استحالة الجنين في الرحم من جراء ادمان الحامل شرب الغول ما قاله لانغستين (Langstein) في بحثه في تأثير الغول في النسل قال : اتى عهد على نساء فينا كن فيه مولعات ولعاً شديداً بالكلاب القزمة اي الصغيرة الجثة التي كانوا يسمونها لصغرها كلاب الاكمام . لان النساء كانت يضعنها في اثناء تجوالهن في اكمامهن . وقد كان من المعروف بالمشاهدة والتجارب ان الكلبات السكيرات تنتج جراءاً صغيرة الجثث . فاستفاد احد اصحاب المعامل من هذه المشاهدات فأسس معملاً لانتاج الكلاب القزمة ، وقد كان يصدر كميات عظيمة منها وذلك بواسطة اعطاء الغول للكلبات اثناء الحمل .

ومن هذه المشاهدات والتجارب يتضح لنا ان جرم الام السكيرة الاجتماعي عظيم وان تبعته التي تقع عليها من جراء سكرها اثناء الحمل لا تقل عن تبعة الرجل من جراء جماعه في حالة السكر .

الغولية بواسطة الرضاع — وهنا ننتقل من الجنين الى الرضيع لنشاهد الغول ينساب الى جسمه مع اللبن كالسم بالدسم فما من طبيب في جميع انحاء العالم يعاني طب الاطفال الا و يحرم على المرضع شرب الغول أشهر الرضاع ، وذلك لان الاضرار التي يلحقها سكر المرضع بالرضيع أعظم من ان تعد وتحصى . وليست هذه العناية الصحية بنت العلم الحاضر فقط . بل هي سليلة التجارب والمشاهدات القديمة العهد . فقد كانت شريعة اليونان تمنع المرضع من شرب الخمر والمشروبات المسكرة محافظة على صحة الأطفال وسلامتهم . وقد أثبت نيكلو (Nicloux) ان الغول يفرز مع اللبن عند المرضع مهما قلّت كميته التي تشربها . وهو يظهر في لبن المرضع بسرعة عظيمة قد لاتزيد على ربع ساعة من تناوله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اما المشاهدات السريرية الدالة على ان لبن المرضع السكيرة سم قتال للأطفال فهي كثيرة لا يقع عليها حصر. منها ماذكره فرني (Vernay) في ليون مديكال عام ١٨٧٢ من انه شاهد مرضعاً تشرب يومياً ست كاسات من النبيذ فأصيب طفلها باختلاجات عصبية شديدة كادت تودي بحياته . فأجبرت المرضع على ترك النبيذ مدة فشفي الطفل . ومن ذلك ماذكره ديفواز ين (Desvoisin) من انه شاهد بأم العين وفيات الأطفال في نورماندیا تزداد من ٨ الى ١٤ في المائة بمجرد ابدال ارضاع الاطفال اللبن الصناعي بلبن المراضع اللاتي يتعاطين المسكرات .

ومن ذلك يتبين لنا الخطأ الفادح الذي يرتكبه بعض الناس باعطائهم الجعة اي البيرا للأمهات المرضعات بدعوى انها تزيد في كمية الدرة . فيعرضون بعملهم هذا اطفالهن لانواع الآلام والآفات . ولا ينحصر ضرر الغول بالطفل فحسب بل هو يلحق بالمرضع ايضاً ، فينقص كمية اللبن ، ويفقد المرأة ونسلها خاصة الارضاع وهذه حقيقة أبدتها مشاهدات العلامة بونج (Bunge) واحصاآته العلمية . فقد درس هذا العالم الفسيولوجي تأثير الغول في خاصة الارضاع في مدينة بال وطلب الى الاخصائيين المشهورين في سائر المدن الكبيرة الاوربية ان يوافوه بمشاهداتهم المتعلقة بهذا المطلب ليضمها الى استقراآته . وقد أسفر هذا الدرس الشاق عن تلك النتيجة المؤلمة وهي ان ثمانين في المئة من ساكنات (بال) عاجزات عن ارضاع أطفالهن إرضاعاً تاماً وهكذا حال النساء في سائر المدن الاوربية المركزية ، وان سبب هذا العجز هو الغولية الوراثية . وان انتشار الغولية في النساء في الزمن الحاضر هو السبب لعدم إرضاع الأطفال إرضاعاً حقيقياً وان عدم الإرضاع هذا سيؤدي حتماً الى نتيجتين مؤلمتين احداهما أخلاقية وهي ضعف شعور الأمومة في المرأة ، والثانية طبيعية وهي فقدان المقدرة على الإرضاع . ولا يخفى ما في ضياع هاتين الوظيفتين من فساد الأسرة وتداعي كيان الامة . وقد أيدت نتائج بونج (Bunge) هذه مشاهدات ستمبفس (Stumpffs) في بافيرا بلاد الجعة . فانه شاهد ان فرط شرب البيرا يحدث تضخماً شحمياً في الثدي يجعلها غير صالحة للإرضاع .

الغولية ووفيات الاطفال — ومن الاضرار الاجتماعية الفادحة التي تنشأ عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معاقرة الغول موت الأجنة في الأرحام وفرط وفيات الأطفال . وقدجاءت استقراآت لوليفان (Lullivan) مؤيدة هـذه الحقيقة المؤلمة . فان هذا العالم راقب ١٢٠ امرأة تتعاطى شرب الغول خلال سنين معينة ولدن فيها ستمائة ولد . فشاهد انه لم يعش منهم سوى ٢٦٥ ولداً . اما الباقون وعددهم ٣٣٥ فقد ماتوا جميعهم خلال السنة الاولى والثانية من الوضع . مما يجعل نسبة وفيات الاطفال عند الغوليين ٥٥/٨ في المئة في حين ان نسبة وفيات الاطفال عند المعفين عن الغول هي ٢٣/٢ في المئة . وتعظم وفيات الأطفال بنسبة إدمان سكر الأبوين المزمن . وقد شاهد سوليفان (Sullivan) ايضاً ان النساء المبتليات بالغوليـة اللواتي لا يعيش لهن اولاد يصبحن أمهات ذوات اولاد اذا هجرن الغولية وانقطعن عن المسكرات .

وأيد ليتنان (Litinan) مشاهداته التي عرضها على المؤتمر الدولي الذي عقد في لوندرا ضد الغول عام ١٩٠٩ بالاحصاآت العلمية الآتية : فان هذا العالم أحصى وفيات الأطفال في ٥٨٤٥ أسرة ولد لها ٢٠٠٠٨ أولاد فشاهد ان نسبة وفيات الاطفال في الأسر التي لا تتعاطى شرب الغول هي ١٣/٤٥ في المئة وان نسبة الوفيات في الاسر التي تشرب الغول بصورة معتدلة هي ٢٣/١٧ في المئة . وان هـذه النسبة تصعد الى ٣٣/٢٠ في المئة في الاسر المدمنة السكر مما يدل دلالة واضحة على ان انتشار الغولية وازديادها في الشعوب داع لانقطاع النسل واضمحلال الامة .

استحالة النسل الغولية .— ولننتقل الآن من الماهية الى الكيفية لنشاهد تأثير غولية الآباء في صحة الابناء وصور أبدانهم ونفوسهم . فقد سبق لنـا القول بان الغول يفسد البذور المنوية وان من الحبة الفاسدة لا يحصد الا ثمر فاسد . ونظرة خفيفة في احصاآت أطباء المدارس في الممالك الراقيـة ، ومديري ملاجيء تعليم البله ، واحصاآت المحاكم والسجون ودور المجانين تكفي لاثبات تلك الحقيقة المؤلمة .

قال بورنفيل (Bourneville) نه استقرأ حياة ابوي الف فدم اي ابله مبتـلاه بالبلاهة لا يعقل ولا يتكلم ولا يعي فوجد ان آباء (٤٧١) منهم كانوا سكيرين وان أمهات (٨٤) منهم كن سكيرات وان الأبوين معاً كانا من مدمني الغول في (١٦٥) حادثة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد فحص اليكس نيكول (Alex Nicholle) من نيو يرك (٦٣٠٠٠) تلميذ في المدارس فشاهد ان ٥٣ — ٧٧ في المئة من اولاد السكيرين هم دون الحد الوسطي من الوجهة العقلية والجسمية . وقد وجد شلسنكير (Schlesinger) ان (٣٠) في المئة من اولاد المتأخرين في مدارس برلين هم من آباء سكيرين . وبالنظر لتفاقم عدد الطلاب الاغبياء في المدارس اضطرت حكومات الممالك الراقية في اوربة واميركة لتأسيس مدارس خاصة بهم في جميع مدنها ، بعهد بادارتها الى أطباء ومعلمين اخصائيين . وذلك لما ينشأ عن احتكاكهم بالاولاد الاصحاء من الأضرار ، مما يكبدها نفقات عظيمة ويثقل كاهل موازناتها السنوية .

الجنون والغولية . — وقد لا تعد هذه النفقات الباهظة شيئاً مذكوراً تجاه ما تنفقه تلك الحكومات من الملايين من الليرات على دور المرضى والمجانين التي تضم بين جدرانها الوفاً مؤلفة من انقاض البشرية الذين كان الغول من اكبر العوامل في تجردهم من الانسانية ، والزام البشرية بهم ، مما تضطرب لهوله القلوب .

فقد جاء في الاحصاء الرسمي الذي نشره ماينان وبوشرو (Magnan & Bouchereau) عام ١٨٧١ ان عدد المرضى بالجنون الناشئ عن الغول هو (٣١) في المئة من مجموع مرضى سانت آن .

وجاء في الاحصاآت الرسمية التي نشرها غارنيه (Garnier) وماينان (Magnan) ولغران (Legrain) وهي تشمل جميع ملاجئ قطر السين ان ٣٣ في المائة من مرضى السين بالجنون كان الغول من اعظم العوامل في جنونهم . وجاء في احصاآت سويسرا ان نسبة الجنون الغولي فيها هي (٢٠) في المائة عند الرجال واثنان في المائة عند النساء .

وجاء في احصاآت ملاجئ بروكسل ان هذه النسبة هي ٣١ في المائة . وجاء في احصاآت ملاجئ انكلترا وبلاد الغال انه بلغ عدد الوفيات بالجنون الغولي فيها خلال عشرين سنة (٣٧٩٥٥) وفاة . وان نسبة الجنون الغولي هي ٣/٢٦ في المائة عند الرجال و (٤/١٠) عند النساء .

وجاء في احصاء امالدي (Amaldi) لملاجئ ايطاليا خلال عام ١٩٠٩ الى عام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٩١١ ان نسبة الجنون المسبب عن الغول هي ٣١/٥ في المائة عند الرجال و٥/٩ في المائة عند النساء ٠

وجاء في الاحصاء الذي نشره وارين فاريس (warren Ferris) وهو يشمل حكومة نيو يورك ان عدد السكان ازداد بنسبة ٤٧/٦ في المائة من عام ١٨٩٠ — ١٩١٠ وان عدد المجانين ازداد في السنين المذكورة بنسبة ١٠٣/٩ في المائة اي تضاعف وان اعظم الاسباب في هذه الزيادة هو انتشار الغول ٠

واليكم الآن الاحصاء الرسمي الذي نشره الدكتور بولاك (Pollak) باسم لجنة مستشفيات حكومة نيويورك المنشور سنة ١٩١١ وهو يدل بكل وضوح على ان الجنون ينقص بنقص استعمال الغول كما انه يزداد بانتشاره ٠ فان هذا الاحصاء يذكر انه دخل ملاجئ نيويورك خلال سنة ١٩٠٨ — ١٩٢٠ (٢٧٦٩٩) مجنوناً وان نسبة الداخلين كانت تزداد من سنة الى اخرى حتى سنة ١٩١٧ حيث استقرت ٠ ثم اخذت تتناقص بصورة منتظمة وذلك بالنظر لامتناع الناس عن شرب المسكرات ٠

تلك قطرة من وابل من مجموع التجارب والمشاهدات العلمية التي ابدتها الاحصاآت التي قام بجمعها وضبطها جهابذة اساتذة العلم في الممالك الراقية في جميع انحاء العالم ٠ وكلها متضافر متضامن على تأييد حكمة تلك الآية الكريمة (واثمهما اكبر من نفعهما) وعلى اثبات فداحة مضار الغول في الفرد والاسرة والامة ، وان الغولية داء عضال تفشى في هذا العصر في الامم العظمى تفشياً مريعاً لاعهد للتاريخ بمثله في الازمنة الغابرة ٠ وهو يهدد هذه الامم بهلاك النسل وفساد العنصر ٠ وليست هذه النتيجة العلمية نبوءة مبتسرة لم تحققها حوادث التاريخ ، فما عهد ابادة الشعوب الضعيفة التي حمل اليها المستعمرون الغول منا ببعيد ٠

قال لغران (Legrain) في بحث الغولية في الجزء الثاني والعشرين من جامع الطب الداخلي والمداواة العملية ما نصه : (الغول سلاح مهلك بيد الامم الجائرة تدفعه الى الامم الضعيفة فتنتخر به) (فمن ذا الذي لا يعلم ما فعله مستعمرو اميريكا الشمالية بسلاحهم المسمى ماء الحياة بسكان القارة الاصليين ذوي البشرة الحمراء ٠ ومن ذا الذي يجهل ما نصنعه بالاسود في مستعمراتنا الافريقية وما تحاوله بالعرب ٠ ومن يجهل ما صنعه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاسوجيون مع اللابون . » الى ان قال (ص ١٩٠) « وكل الحكومات فعلت ذلك . فالانكليز باعوا الافيون الى الصين ، ونحن نحصد السود بخمورنا وغولنا . ثم قال (ان القوانين العامة التي قضت بهلاك الشعوب الضعيفة قتلاً بيد الامم القوية ستقضي هي نفسها بهلاك هذه الامم القوية (ما دامت مؤوفة بالداء نفسه) وذلك بسرعة اخف من الاولى ولكن بقسوة لا تنقص عنها » .

ومما تقدم بيانه في هذه المحاضرة وفي المحاضرة السالفة يتضح لنا ان للغول مضار عظمى ومنافع ضئيلة . وتنحصر هذه المنافع بامرين : احدهما ان الغول غذاء ، والثاني انه منبه . اما القول بان الغول غذاء فقد أبطلته تجارب روبنير (Rubner) التي برهنت على ان ما كل ما يشتعل في الجسم يعد غذاءاً . وان نظرية تنظيم الاغذية بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها في الجسم فاسدة ، وان قيمة المواد الغذائية تقدر بحسب ما يستفاد من قدرتها في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، وقد صرح انواثر وبنديك نفسها وهما اللذان اثبتا بتجاربهما قيمة الغول الغذائية بانه اذا كان الغول يعد غذاءاً لاحتراقه في الجسم فهو غذاء سيئ غذاء مكروه لانه يخرب الجسم اثناء اشتعاله فيه . وعلى ذلك فقد اضاع الغول اليوم احدى خاصتيه الاساسيتين وهو لا يأسف كثيراً لهذه الخسارة لان غواته لم يعشقوه لاجلها بل لما يحدثه في اجسامهم من النشاط والنشوة . اجل ايها السادة ، ان الغول منبه اذا اخذ بالمقدار الطبي الملائم لطبيعة كل انسان بمفرده مع مراعاة الكيفية والماهية ، مما يتعذر تحقيقه لما بين الاجسام من التفاوت ولما يطرأ على الجسم الواحد من يوم الى آخر من التغير ، وهب انه امكن تعيين هذا المقدار لاحد الناس فان هذه الكمية لا تكون ثابتة الا اذا اخذت عند الحاجة وبفواصل بعيدة اعني مرة في الاسبوعين او الشهر ، اما اذا تناولها المرء كل يوم فان الجسم لا يلبث ان يألفها ويصبح لا يتأثر بفعلها و يضطر المرء ليحصل على النشاط واللذة الاولى الى ان يزيد كميتها تدريجاً فيتجاوز بعمله هذا الحد الصحي و يعرض جسمه لانواع الآفات العضوية والنفسية التي مر ذكرها .

واذا كان في الامم افراد قليلون ذووا إرادة قوية وتربية صحيحة في وسعهم ان يحافظوا على ذلك المقدار الصحي وان يحفظوا بذلك صحتهم وسلامتهم ، فهم كما قال لغران

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أضرُّ على الناس من الغول نفسه لانهم هم الذين يمثلون للناس فضائل الغول ويتخذهم صناعه وباعته عنواناً لدعايتهم ، فيقلدهم الضعفاء وهم سواد الامة فيهوون الى اشقى الحياة المادية والمعنوية .

فمن الفضيلة والانسانية اذاً ان يفادي هذا الفريق العاقل بتلك اللذة العارضة كي لا يكون طعماً في شراك الغول يغتال به الوالد ثم الولد والاسرة ثم الامة .

وقد اهاب نذير هذا الخطر المداهم بالامم الاوربية والاميركية التي اخذت تشعر شعوراً واضحاً بدبيب السم ، سم الغولية الى مراكز اعضائها الحيوية . فاكبرت الخطب واعظمت الخطر واستفظعت العاقبة وقامت تتداعى كما تتداعى الاعضاء الصحيحة في الجسم المحموم لمقاومة ذلك العدو القاهر الذي استحكمت في النفوس براثنه ، كما تتشعب الياف السرطان في الجسم فبات الويل في نزعه والموت في تركه .

جيوش جرارة من علماء اساتذة وسياسيين واطباء وقانونيين وادباء ومنشئين ومرشدين ومعلمين وعمال وموظفين مؤمنين وملحدين نساءً ورجالاً شيباً وشباناً يلبون باجمعهم نذير العلم وداعي الحياة ، فينضمون تحت لوائه ، يعلنون على الغول جهاداً مقدساً من دونه حروب الفاتحين وجهاد الصليبيين .

فهنالك في سكاندينافيا وفينلاندا وانكلترا والمانيا وهولاندا وسويسرة مئات من الجمعيات المؤلفة ضد الغول ومئات من الجرائد والمجلات العلمية والهزلية والاجتماعية المنقطعة تخصصت لمقاومة الغولية .

هنالك جمعيات جوقة الامل (Bands of Hope) في انكلترا وجمعيات منازل فرسان الشباب الصالح الدولية واعضاؤها من الاولاد يعدون بالملايين . وجمعيات امل السرير (Espoir du Bereau) وهي تضم الوفاً من الامهات تعاهدن على ترك المسكر ووقاية اطفالهن من شروره .

هنالك جمعيات الرياضة البدنية التي من شروطها ان لا تضم الى جسمها عضواً يشرب المسكر على اختلاف كياته وانواعه . وجمعيات (الشريطة البيضاء Ruban blane) الخاصة بالبنات يتدربن فيها على مكافحة المسكرات ليكن في المستقبل زوجات وامهات صالحات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هنالك الجهاد اللاغولي المقدس وكله يرمي الى هدف واحد هو وقاية ابناء الجيل القادم من شرور الغول وتهيئته ليصوت في المجالس النيابية المقبلة ضد المسكرات ، حذوا بما فعله نواب الولايات المتحدة وشيوخها الذين ابدوا بعملهم هذا من رباطة الجأش وقوة الارادة وصلابة العقيدة وصحة الايمان والجرأة والمفاداة ما لم يتجل في امة من امم التاريخ القديم والحديث .

وبينما نار الحرب تتأجج في اوروبا وامريكا لمقاومة الغول ومطاردته نرى البلاد العربية المتمدنة هذه الفادة الاسيرة الفتانة تتجه بكليتها نحو هذا العدو الافعى كأنها استلانت ملامسه ولم تستنكر نواجذه ، او كأنها سئمت الحياة فراحت تتطلب من سمه مخرجاً منها . وفي ذلك لعمري منتهى الجبن ، واقصى الغباوة ، وابشع خيانة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net